أزمة الخليج: نحو نظام دولي جديد

أحمد شاهين

الغبار الذي تثيره حركة القوات العسكرية الموجودة في منطقة الخليج يعمي القيادات السياسية المسؤولة عن ادارة هذه القوات، بحيث بات العسكريون هم أصحاب الرؤية السياسية، حتى ان رؤساء الدول المعنيّة بالمشكلة باتوا يتصرّفون بصفتهم قيادات عليا للقوات العسكرية فقط. وكي لا نحمّل هذه الرؤيا من عندياتنا، نذكّر بالهدف الذي اضافته الادارة الاميركية الى الاهداف التي أرسلت قواتها العسكرية من اجل تحقيقها، وهو «تدمير القوة العسكرية للعراق»، بما يعني ان اعلان العراق انسحابه من الكويت، أو دفعه الى الانسحاب، لم يعد هدفاً نهائياً للقوات الاميركية، بل يليه هدف هو الذي أسلفناه. وهذا الهدف محض مهمّة عسكرية ميدانية؛ فالذي يفكّر بترتيب أمن اقليمي للمنطقة ـ ان لم يكن يفكّر باستعمارها بشكل مباشر ـ لا يجوز له ان يضع تدمير القوة العسكرية لدولة هدفاً، لأنها ستدخل حكماً في صلب هذا الأمن الاقليمي، الذي يعني حماية هذه المنطقة من التهديدات «الخارجية والداخلية». ولذا، فان هذا الهدف، الداعي الى تدمير قوة العراق العسكرية، يثير التحفّظ من «طيبة» نوايا الادارة الاميركية تجاه المنطقة، وهي، في رأينا، ليست طيبة. فاستخدام المنطقة ورقة في يد الولايات المتحدة الاميركية ليس سياسة جديدة لدى الادارات الاميركية، بل هو في صلب استراتيجيتها الكونية، وهي، أي الولايات المتحدة الاميركية، لا تريد للمنطقة ان تدخل في علاقات نديّة معها، الامر الذي حاولته قيادات المنطقة طيلة أربعين عاماً، هي عمر الهيمنة الاميركية على قيادة العالم ـ بما في ذلك القيادات الراديكالية العربية، بدءاً من عبدالناصر وانتهاء بصدام حسين، مروراً بحافظ الاسد وياسر عرفات ـ اذ ان ما تبحث عنه الولايات المتحدة الاميركية هو تطويع المنطقة كورقة في يدها لخدمة سياساتها الكونية، المحكومة بالفكر الاستعماري الانكلو ـ ساكسوني، بصفتها الوريث الشرعي، كونياً، لبريطانيا الاستعمارية.

على ذلك، فان الحضور العسكري الاميركي، بحجمه المقدّر له ان يصل حتى نهاية العام ١٩٩٠، ليس غايته حماية المملكة العربية السعودية من اعتداء محتمل عليها من قبل العراق، أو لـ «تحرير» الكويت، كما يأمل اميرها، بل غايته خدمة النزعة الامبراطورية لدى الولايات المتحدة الاميركية، التي بدأت تتصرّف، بعد «انسحاب» الاتحاد السوفياتي من حلبة الصراع للسيطرة على الكون، بعنجهية المنتصر. ففي حين جعل الاتحاد السوفياتي، من مبرّرات انسحابه من هذا الصراع، الخوف على العنصر البشري من الفناء (طبعاً هذا هو المبرر / الغطاء لتعب الاتحاد السوفياتي وعدم قدرته على متابعة الصراع)، ولم تفكّر الادارة الاميركية، السابقة والحالية، التي شهدت الانسحاب السوفياتي، في وضع سياسات كونية جديدة تقوم على مصلحة وأخلاقية مختلفتين عمّا كان عليه الحال في فترة الصراع مع الاتحاد السوفياتي، وتصرّفت بعقلية «اليانكي» عند احتلاله مخيمات الهنود